تفريغ محاضرة:

إنَّ الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

٢٣ - ٢ - ١٤٤٤هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ

د. هند القحطاني

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، أمَّا بعد...

فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال، قال رسول الله ﷺ :(**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيها، قَالَ: «فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا»، قَالَ: "فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا "، قَالَ: " فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا)**. [أخرجه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

حينما خلق الله ﷻ الجنَّة والنَّار، أرسل جبريل -عليه السَّلام- إلى الجنَّة، فقال: انظر إليها، وما أعددت لأهلها فيها، فكان أول من رأى الجنة جبريل -عليه السَّلام– فجاء ونظر إليها، وما أعده الله لأهلها فيها، فرجع وقال: وعزَّتِكَ، لا يَسْمَعُ بها أَحَدٌ إلَّا دخَلَها، أي: **مجرد أن تسمع عن الجنة حتى دون رؤيتك لها، بل تسمع عن أنهارها وقصورها وأشجارها ونعيمها فإنَّ ذلك يدفعك لها**، فأمر الله بها فحفت بالمكاره،

فلمَّا حُفَّت الجنة بالمكاره - وهي: **مجموعة من التكاليف الشَّرعية التي كلفنا الله بها**، والتي قد يكره الإنسان فعلها، فتُصعَّب عليه دخول الجنة- فلمَّا رآها جبريل - عليه السَّلام- كذلك، قال: وعزَّتِكَ، لقَدْ خِفْتُ أن لا يَدْخُلَها أحَدٌ، يعني لمَّا رأى الجنة قد حُفت بهذا الإطار من المكاره خشي جبريل -عليه السَّلام- أن لا يدخلها أحدٌ؛ لأنَّه لن يصبر عليها أحد.

ثم خلق اللهُ ﷻ **النَّار**، فقال لجبريل -عليه السَّلام-: اذهب فانظرْ إليها، فلمَّا نظر إليها، وما أعدَّ اللهُ ﷻ لأهلها فيها فإذا هي **يركب بعضها بعضًا، ويحطم بعضها بعضًا، وبها شتَّى أنواع العذابات والأهوال**، فرجع جبريل -عليه السَّلام- فقال : وعزَّتِكَ، لا يَسْمَعُ بها أحدٌ فيدخُلها، يعني لو سمع أحدٌ وصفها، وعلم **أنَّ نار الدُّنيا جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم، فإنه لا يدخلها أحد، ولو تذكر إنسان شدة حرارة فرن من أفران الدُّنيا لكان ذلك كافيًا، فكيف بنار جهنم ؟!** فأمر الله عز وجل بالنار فحفَّت بالشهواتِ فقال لجبريل ارجع إليها، فرجع فقال: أيْ ربِّ وعزَّتِكَ لقدْ خشيتُ أن لا يبقى أحد إلَّا دخلَها، يعني هذه النار حفّت بالشهوات واللذات المحرمة، فمن يستطيع أن يتّقيها؟ وفي مقابل أنَّ الله قد جعل النَّار محاطة بالشهوات إلا أنَّه قد أعطى للإنسان العقل - وهو الفرق بين الإنسان والحيوان- فجعل الله للإنسان عقلاً يحكمه، فلا ينبغي علينا أن نسير وفق شهواتنا إلا بالحلال. وهذا الحديث اختصرته رواية أخرى عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: (**حُجبت النَّار بالشَّهوات، وحُجبت الجنَّة بالمكاره**). [أخرجه البخاري: صحيح].

وهذه الحقيقة يعلمنا الله ﷻ إيَّاها قبل أن نُخْلَق، وقبل أن ينزل الوحي، **فقد أعطانا الله خارطة الطريق..**

فحين يحدثنا النبي ﷺ عن المسيح الدَّجَّال والنَّار التي معه، فإنَّه يقول لنا ﷺ عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: (**ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ، وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ، وَجَبَ وِزْرُهُ، وَحُطَّ أَجْرُهُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ**). [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسن].

وهذا الحديث نصٌّ صريح بالفتنة، وأنَّه **لن ينجو منها إلَّا من كتب الله له النجاة**، وعندما تكون لدينا خارطة الطريق ، ونعلم أنَّ الجنَّة حُفَّت بالمكاره، و أنَّ النار حُفَّت بالشهوات، فإنَّه ينبغي أن نكون أكثر حذرًا وحرصًا.

إنَّ هذا الكلام ليس نوعًا من التَّعذيب، فأنت قد تتساءل لماذا لم يكن الطريق إلى الجنة سهلًا؟ والجواب: **لأنَّ الدُّنيا لا يوجد بها طريق سهل**، فنحن نعلِّم أبناءنا في المدارس بأنَّكم إذا أردتم النَّجاح، فيجب أن تنهضوا للمدرسة، وتقاوموا لذة الفراش لمدة خمسة أيام أسبوعيًّا وتتعلمون؛ **لأنَّ النتائج السارّة لا تكون لمن لا يجتهد**، **كذلك الحال في العبادات** إذا لم يجتهد الإنسان فلن يكون من زمرة الفالحين، وهذا تمام العدل السَّماويّ.

تخيل لو كنت موظفًا مجتهدًا، تؤدي مهامك كاملة وتزيد عليها، ثم يأتي موظف يتأخر أو يتغيب بعذر مزور ولا يعمل، وفي آخر الأمر هو من يحصل على التَّرقية، وأنت من تُحْرم منها، فهذا يعده الإنسان نوعًا من الظلم! أما العدل السَّماوي فمعه لا يمكن لإنسان اجتهد في طاعة الله أن يتساوى مع إنسان أرخى لنفسه الخطام ، وقال خذي من شهوات الدنيا ما تريدين، والموعد يوم القيامة يغفر الله لي ! قال الله ﷻ: **(أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ)** [الجاثية 21] هذا سؤال مهم ورد في الآية، إن كنتم تظنون أنَّ هؤلاء وهؤلاء سيكونون سواء! فساء ما تحكمون.

نحن لا نستطيع أن نلغي التفكير في الدَّار الآخرة، فنحن مسلمين بل إنَّ كل الأديان السماوية تؤمن باليوم الآخر ، وتعلم أنَّ هناك يوم جزاء، فالروس الآن يقولون اقترب يوم القيامة، فهم يعرفون الأحداث قبل قيام الساعة ، وكل الأديان تنتظر المسيح، ولكن لكل دين معتقدات خاصة، لكنَّهم يعلمون أنَّ هناك أحداثًا قبل قيام الساعة، ويؤمنون بوجود جزاء، وجنة ونار، **وإذا كنا نحن المسلمين نؤمن بهذا يقينًا فلا بُدَّ أن نعد له العدة** ،

ونحن مبتلون في هذه الدنيا بمجموعة من الإغراءات والشهوات، ومن أول هذه الإغراءات ما حصل لآدم عليه السلام في الجنَّة في القصة المعروفة، فآدم لم يكن يعرف أنَّ هناك مخلوقًا قد يكذب على الله، ولم يكن يعرف معنى الحسد، عندما وقعت المصيبة، **وأكل آدم من الشجرة، أين وقعت هذه القصة؟ في الجنَّة! في أطهر مكان وتحت عرش الرَّحمن!**

ما كان يعلم آدم أنه قد يكذب عليه أحدٌ لمجرد أن يوقعه في الخطيئة، وما كان يعلم أنه سيكون بينهم عداوة وحسد! **فكانت أول معصية لآدم أنَّه انجذب للإغواء والإغراء.**

تخيل أنك تدخل الجنة وتشم رائحتها وتحس ببردها، هل تحب أن تخرج منها؟ هذا الذي حصل مع آدم، ولكن لما جاءه الشيطان ما ظن أنّه يكذب، قال الله ﷻ: **(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ)** [طه 120] .

والفرق بين الاثنين أنَّ الشيطان بقي غاويًا في معصيته، أمَّا آدم فقد استغفر ربه، وتاب فكان خيرًا منه، والشَّيطان منذ ذلك الحين أخذ العهد على نفسه أن يبدأ قصة الإغواء إلى يوم يبعثون، وقال الله ﷻ إنك من المنظرين. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتِ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ لَهُ اللهُ: فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي).** [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: حسن].
فكما أننا نؤمن بالميكروبات والهواء والجن [الأشياء التي لا تُرى بالعين المجردة] فإننا نؤمن بأنَّ هناك خلقًا من الله ﷻ اسمه الشيطان، ووظيفته أنه يوسوس بالشر، فيمتحن الله بذلك عقلك وقدراتك الإيمانية في لحظة الإغواء **أن تقول للشيطان لا.**

ولنعد للحديث لنتأمل هذا الوعيد الشديد من الشيطان! "**لا أبرح أغوي بني آدم مادامت الأرواح**" يعني لا هروب منه إلى لحظة الموت والروح تحشرج، **وأنت طيلة عمرك تسألين الله حسن الخاتمة، هناك الشيطان سيكون حاضرًا،**

وهذا بالطبع أمر مخيف، ولكن الله سبحانه ردّ عليه ردًا هدم كل تهديد الشيطان إذ قال الله ﷻ (**فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني**)

يسقط في الذنب فيستغفر الله فيغفر الله له
يسقط في الذنب فيستغفر الله فيغفر الله له
يسقط في الذنب فيستغفر الله فيغفر الله له
فما دمت تستغفر سيغفر الله لك.

وفي أثناء هذا هل الشيطان سيدعك تستغفرين؟ الجواب لا، بل يأتيك من باب: إلى متى جلد الذات هذا؟ هل كل ما فعلت شيئًا ندمتِ عليه؟ عملك هذا أصلًا ليس حرامًا، لا تهلكين نفسك بتأنيب الضمير... الخ

الشيطان لا يريد منك الشعور بالندم، ولا يريد منك الإحساس بالذنب، أو قولك : يا رب لست راضية عن أفعالي، وأني يا رب في كل مرة أضعف فأرجوك قوّني، وجنبني متابعة خطوات الشيطان، كل هذه المشاعر لا تعجب الشيطان، لأنك طالما استغفرتِ الله، فالله سيكون معك، والشيطان يريد للمعصية والباطل أن يتطبع فيك، ويريد أن ينسيك أن وراءك حساب وعذاب، يريد منك أن تأمني جانب النعيم وتنسي جانب العذاب؟

وفي الحديث القدسي الله ﷻ يقول: **(وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يوم القيامة)**، [أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: حسن صحيح].

فإذا كانت طريقة عيشك في الدنيا على هواك وفعلت كل ما أمرك به الشيطان بكلّ أمان، كان المصير (أخفته يوم القيامة) وتخيلي يوم القيامة لما الله عز وجل يخوفك؟

(ومن خافني في الدنيا) وهذا الأصل أنه لابد أن تمشي في حياتك على حذر..
(ومن خافني في الدنيا أمّنته يوم القيامة).

طيب هناك من يسأل: يعني **هل سنعيش طول الدنيا خائفين حذرين؟** ردّي على نفسك بسؤال أعظم؟ إذا نكون طول الآخرة خائفين؟!

هل هناك مقارنة بين الاثنين أصلًا؟ الدنيا؟ وما الدنيا؟ كم ستعيشين؟ 70 سنة! مئة سنة! ثم تموتين لا محالة

أما الآخرة! خلود وعيش سرمدي، إما في عذاب أو في نعيم، وأنت من تختار وتقرر أيهما تريد!

ولذلك هذا الإغواء الذي يهدد فيه الشيطان رد عليه الله ﷻ بهذه البشارة **(فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي).** [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: حسن].

الشيطان من مكيدته بالإنسان يريد أن يصادر منه حتى الإحساس بالذنب، ففي الوقت الذي تشعرين فيه بالندم تجاه أمور قصرت فيها أو أشياء فعلتيها، هو يريد أن يفقدك هذا الإحساس لتستمري في الغرق على ما أنت عليه، وهذه معركة واضحة -معركة إغواء الشيطان- وهي مستمرة حتى قيام الساعة، وفيها هو لن يأتيك من طريق واحدة، بل سيبذل شتى الأسباب لإغوائك **(ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم)**، سيحاول إقناعك بكل الطرق، ويذكرك بتجاربك السابقة الفاشلة في الإقلاع عن الذنب، ويعمل على تيئيسك، ويزيّن لك، ويحبب لك الشهوات أكثر، ويصغر في عينيك المعاصي، يذكرك بجمالك فكيف لهذا الوجه الجميل أن يغطى ولا يراه الناس؟ والوجه ذاته هذا تغطى بالكمام سنتين لأجل فايروس ولم يسبب الكتمة! فما باله النقاب الآن لا يجعلك قادرة على التنفس!

هذه هي معركة الشيطان، كلّما سديت باب أتاك من آخر؛ ليمتحن الله قوتك وصدق قراراتك، وأنك اخترت ما عنده من ثواب وجزاء وتركت أهواء نفسك وانتصرت عليها، وتذكرت أنه لا بأس إن تركتِ الدنيا وما فيها من مغريات لأن عند الله جنة أكبر من الدنيا وما فيها أعدها الله لعباده الصالحين، فلو خسرت الدنيا كلها وما ذقت منها شيء وفزت بجنة الآخرة فهذا هو الفوز المبين، ولا حسافة على الدنيا..

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(يؤتى بأشد المؤمنين ضرًا -أي: يوم القيامة- فيغمس في الجنة غمسة ثم يقال له: هل رأيت ضرًا قط؟ فيقول: لا يا رب، ويؤتى بأنعم أهل الدنيا -أي: من أهل الكفر- ويغمس في النار غمسة واحدة، ثم يقال له: هل رأيت نعيمًا قط؟ فيقول: لا يا رب)** [أخرجه مسلم: صحيح].

(يؤتى بأشد المؤمنين ضرًا يوم القيامة) يعني ذاك الشخص الذي ما ذاق من نعيم الدنيا شيء قط،

هؤلاء الذين تمرين بهم فتقولين الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم، هؤلاء الذي نمر بهم ونحن لا نصدق كيف هم إلى الآن يعيشون وهم صابرون على البلاء وعلى شدة المرض والفقر والجوع والخوف والتشرد، هؤلاء يأتي بهم الله فيغمسون غمسة في الجنة، هم ما ذاقوا نعيمها بعد، فقط غمسة واحدة، ثم يقال له: (هل رأيت ضرًا قط؟) جوعك؟ مرضك؟ حزنك؟ (هل رأيت ضرًا قط؟ فيقول لا يارب) **نسي الدنيا ومافيها بغمسة واحدة**، كيف إذا لو قعد ٥ دقائق في الجنة؟ أو يوم؟ أو سنة أو أبد الدهر؟

هذه هي معركة الشيطان، والتي حذرنا الله ﷻ منها **﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾** الأعراف (27)، والفتن لا تتمثل في الشيطان وحده، بل حتى في الأرض جعل الله ﷻ فيها مجموعة من الشهوات **﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾** الكهف (7).

ومن أمثلة الشهوات التي وضعها الله في الأرض: شهوة الأكل، الأكل حلال ولكن الكثرة منه تنقلب ضدّ الإنسان، فالذي يأكل كثيرًا ينام كثيرًا، فينام عن العبادات!

طيب تكلمنا عن إغراء الشيطان، وهذا الإغراء له صور كثيرة، سنتحدث عن أهم ثلاث منها:من أهم أنواع هذا الإغراء هو:

1. **إغراء الجنسين ببعضهما البعض** [المرأة بالرجل، والرجل بالمرأة] يقول أحد السلف: إني أخاف أن تدفق على الدنيا دفقة فتغرقني، يعني تنفتح على الدنيا مرة واحدة فأغرق فيها..

وهذه قصة رواها ابن الجوزي في بغداد عن أحد من المسلمين، هذا المسلم كان في مكان مرتفع فرأى فتاة نصرانية في بيتها فعشقها، فذهب إليها، فقالت له: أنتم المسلمون أهل الأمانات، وهذه خيانة كيف تراني وتدخل علي هكذا؟ وأما هو فقد أخذت الفتاة بمجامع قلبه، فقالت: فليس ذاك حتى تدخل في النصرانية، فقال في اللحظة أنا برئ من دين محمد ﷺ في هذه اللحظة، هو غير واعٍ للذي يقوله ولعواقب هذه الكلمة، كان في رأسه هدف يريد أن يحققه فقط،

والآن هو في لحظة إغواء وانجذاب، وما يستطيع المقاومة،

فقالت له الفتاة : لا آمنك حتى تأكل لحم الخنزير، وتشرب الخمر، فأكل لحم الخنزير وشرب الخمر، فلمَّا ثمل ولم يعد في قوته، دخلت غرفة وأغلقت على نفسها الباب، فضرب عليها الباب وأبت أن تفتح له، وقالت له: اصعد السطح فإن رأيت أبي أتى فاطلب منه أن تتزوجني، تسكّته، فصعد إلى السطح وسقط فمات ، فلمَّا جاء أبوها قالت له القصة، فلفوه بخرقة ثم رموه على السكة، فلمَّا أصبح الناس وعرفوا بقصته، رموه في المزابل؛ لأنه لا مسلم ولا نصراني، حتى النَّصارى ما قبلوه، هو قال تلك الكلمة في لحظة إغراء وما استطاع أن يقول لنفسه لا، لذلك الله ﷻ ما قال لا تفعل الزنا، بل قال الله ﷻ: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ [سورة الإسراء: 32] لا تقرب ولا تمتحن نفسك أصلًا، لا تضع الزيت جانب النار وتقول سأكون قويًا ولن احترق، هل الإنسان يستطيع أن يحمي نفسه في هذه اللحظة؟

نحن في هذه القصة تحدثنا عن حدث صار حوالي سنة 500 من الهجرة وذاك الرجل ما استطاع أن يمسك نفسه، فكيف الآن بالإغراءات التي زادت، والحرام الذي صار أسهل ما يكون، وبالمقاومة التي ضعفت لأننا ابتعدنا عن الله!
والشيطان مستعد لأن يستعين بكل الأشياء كيف يحقق لك الإغراء، بالصورة والصوت وبكل أنواع التعديلات وبالعطور.

مرة كنت في المطار وكنت ارتدي نقابًا غليظًا مكونًا من طبقتين من القطن فمرت بجانبي امرأة ورحلت، وبعدها بثواني شممت رائحة عطر اخترقت كل هذا حتى ظننته رجلاً من قوة العطر فظللت أتأمل الممر ولكنها كانت امرأة فظللت أتسائل كم رجلٍ مرت به!!

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: **(كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ، وَالمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا يَعْنِي زَانِيَةٌ)**، [أخرجه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

فمئات الرجال الذين مرت بهم وشموا تلك الرائحة، نحن معاشر النساء نظن أن العطر لا يفعل شيئًا، نحن نقيم فقط إن كان العطر جميلاً أو لم يكن، بينما الرجال يفعل العطر بهم ما لا يفعله بالنساء، ولذلك حين نهانا النبي ﷺ أو نهانا الشرع فذلك لحكمة ربانية.

ابن كثير- رحمه الله- ذكر أيضًا قصة لعبدة بن عبدالرحيم وكان واحدًا من الناس الذين يغزون في بلاد الروم من المرابطين، فنظر إلى فتاة نصرانية من الحصن، فعشقها .. هويها .. راسلها فقال: كيف السبيل إليك؟ فقالت: لا سبيل إلا أن تتنصر وتأتي .. ففعل وتنصر وأتاها، وصار له فيهم مالٌ وولد! وبعد فترة مروا أصحابه وإذا به يشرف عليهم مع زوجته فقالوا له **أين ذهب قرآنك وصلاتك!! فقد كان حافظًا للقرآن، فقال قد ذهب هذا كله وما عاد معي شيء من القرآن إلا آية واحدة**، قال الله ﷻ:(**رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)** (الحجر 3)

ذهب القرآن كله وما بقيت إلا هذه الآية .. آية تهديد ووعيد له.

كانت هذا القصص تسجل قديمًا لأنها ربما تكون غريبة! أما الآن من يسجل لنا القصص التي تحصل اليوم على مدار الساعة!! ومن الذي يسجل الأحداث لأبنائنا المغتربين!! أو فتياتنا في هذه الأيام وهم بين الزيت والنار!

ولنسأل أنفسنا سؤالًا حقيقيًا: **ما هو الأمر الذي يستحق ثمن الجنة؟** هل المال والولد والشهوات تستحق ثمن الجنة؟

التنازل عن العقيدة والتعايش مع الحياة يجعلك في انغماس دائم للأسفل للدنيا، ولا يعطيك الفرصة لأن ترفع رأسك عاليًا لتتذكر الجنة! وكل أولئك الذين سقطوا في مستنقعات المعاصي لم يكونوا في البداية يظنون أنهم سينغمسون إلى هذه الدرجة، **ربما بدأ أمرهم لأجل التجربة**، ولكنهم ضعفوا واستمروا ولم يقاوموا الإغراء فما استطاعوا الخروج؟

هذه الإغراءات هي ابتلاءات من الله ﷻ ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: **(قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: (الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ).** [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسن صحيح].

وحين تسأل إلى متى؟ **المهم أنك تصبر في كل ابتلاء حتى تمشي في الأرض وليس عليك خطيئة.**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ التَّشَهُّدِ: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ)**، [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسن صحيح].

ففتنة الممات واضحة، أما **فتنة المحيا هي فتنة الحياة التي نعيشها وفق ما يرضي الله ولا يفتنك فيها شيء يغضب الله.**

قد تجد شبابًا كانوا أفضل من واقعهم الحالي كان في العشرين أفضل مما هم عليه في الثلاثين ثم ساءت الأحوال!!

فكيف كنت تقوى نفسك في المراهقة ولم تقواها اليوم؟ المجتمع له دور أم الأبواب المفتحة لها دور؟ وهنا يأتي دورك.

يقول ابن تيمية قاعدة جميلة **(إنَّ لكلِّ عبدٍ ولابد من محبوب مراد هو منتهى حبه ومنتهى إرادته فمن لم يكن الله معبودًا له ومنتهى حبه وإرادته واستكبر عن ذلك فلابد له من مراد آخر ومحبوب يستعبد قلبه)**

أي أن لكل شخص منا شيء يحبه وهو مرادك في الدنيا، فالله فطرنا على أنَّ القلب يهوى، يجب أن يهوى قلبك أمر معين

فأنت تصحو وتنام وتقوم ولديك ما تحب وقد سيطر على تفكيرك، فيقول: (فمن لم يكن الله معبودًا له ومنتهى حبه وإرادته واستكبر عن ذلك فلابد له من مراد آخر ومحبوب يستعبد قلبه) **فإن لم يكن الله المعبود ومرادك الأول وإليه ينتهي الحب فابحث عن من يستولي على قلبك وحبك ولابد، فالقلب يجب أن يهوى.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ)**. [أخرجه البخاري: صحيح].

هناك من يعبد ثوب أو قماش أو موضة، فتخيل أن الرسول ﷺ يفرد هؤلاء بالذكر، فلكل إنسان معبود إذا لم يكن الله هو المعبود الأول.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ)**. [أخرجه مسلم: صحيح].

انتبه فلا تغرق فيها فتغويك، فالحديث موجه للنساء والرجال فقد يفتن الرجال بالنساء والعكس، لذلك حين نهانا الله عن عدم اقتراب الجنسين بعضهم ببعض لأن هناك أمور تترتب على هذا الاقتراب، فالمرأة قد تفتن برجل والرجل قد يفتن بالمرأة.

وقد جعلها الله في القرآن في قصة مفرودة فقط لهذا المعنى، فيوسف عليه السلام درسٌ في مقاومة الإغراءات ولو أخذنا الدرس واختصرناه في قصة يوسف لكان كافيًا بداية من قصة الإخوة ومحبة والده وعلاقته مع إخوته ثم مع امرأة العزيز ثم مع المال والجاه والوزارة ثم شهوة الإنتقام كلها مجموعة من الإغراءات إلا أنه قاومها.

عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **(الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).** [أخرجه البخاري: صحيح].

وهو الذي تمثل النبي ﷺ بكلمته عند فتح مكة كما ورد في السيّر: **معشر قريشٍ، ما ترون أني فاعلٌ بكم ؟ قالوا : خيرًا ، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ، قال : فإني أقولُ لكم ما قال يوسفُ لإخوتِه: لا تثريبَ عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاءُ.** [يُنظر إلى زاد المعاد: لابن القيّم].

فحين نسمع عن يوسف عليه السلام ونقول أنه نبي، لا الأمر ليس لأنه نبي ولكنه تعرض إلى تربية عميقة منذ صغره فحين ألقي في البئر كان عمره بين السابعة والتاسعة، وصمد **وكان سر ذلك الصمود هو التربية العميقة** التي تلقاها من والده في سنواته السبع أو التسع الأولى، صموده وثباته كان وليدًا لمجهودٍ بُذِل على يوسف عليه السلام منذ الصغر، ولهذا ندعو دومًا إلى تربية الأبناء تربية صحيحة.

وهذه قصة طفل عمره خمسة سنين حافظًا القرآن، يعني ما دخل التمهيدي، جاء إلى شيخ، فامتحنه الشيخ وما كان امتحانًا عاديًا بل حتى امتحنه في المتشابهات في القرآن، مثلا {يا أيها الذين آمنوا} يقول هذه موجودة في سورة الروم في سورة كذا ويعدد له، ويأتي له بكل المتشابهات فيقولها الطفل، فالتفت إلى أبوه قال له: **كيف؟ عمره خمس سنين متى حفظ وأتقن؟** قال: القصة طويلة، قال كان في بالنا نحفظه القرآن في سن مبكرة، وأمه حامل اشتغلنا على هذا الموضوع أن يشتغل القرآن طوال الوقت فالأم أين ما تمشي تسمع القرآن،

ثم أول ما انولد طفلنا كان القرآن مسموعًا دائما، وعندما صار عمره سنتين وكان للتو بدأ ينطق كلمات جمعنا كل ألعابه في غرفة ووضعنا مسجل القرآن فيها بالتكرار، فيجلس القرآن يكرر طول الوقت، لما صار عمره أربع سنوات، يعني سنتين على هذه الحالة، بدأنا في تحفيظه القرآن التحفيظ الرئيسي يعني سورة سورة يحفظها وبدأنا من جزء عمَّ، يقول حفظه كان سريعًا وخلال سنتين الولد حفظ القرآن.

من هذه القصة نستنتج أنه كانت هناك تربية عميقة!

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: **(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ)**، [أخرجه البخاري: صحيح].

هذه الأم وكل أم تحرص على تحفيظ ولدها القرآن، أدت وظيفة عمر، **حفظ الصغار كالنقش على الحجر، وهذا أثمن كنز يوضع في قلب الطفل**، إذًا نستطيع مقاومة هذا الإغراء بهذا النوع من التربية.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)**. [أخرجه البخاري: صحيح].

والموقف ليس فقط للرجال، النساء شقائق الرجال والمرأة أيضا إذا تعرضت لموقف فقالت "إني أخاف الله" ممكن يكون فيه إغراء وممكن يكون فيه أيضًا نوع من التهديد، ولذلك المرأة التي جاءت في حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار كانت هي السبب في إيقاف الفاحشة حينما قالت لابن عمها **"اتقِ الله" هذه الكلمة زلزلت كيانه** فقام عنها، وكانوا على وشك أن تقع الفاحشة، لولا هذه الكلمة التي قالتها. إذًا هذا نوع من الإغراء.

هناك إغراء ثاني أيضًا وهو :

2. **الإغراء بالمال**، عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **(لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ)**، [أخرجه البخاري: صحيح].

عَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: **(إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ)**، [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح].

لذلك لما الصحابة شكوا له الفقر قال: والله ما الفقر أخشى عليكم، كان النبي ﷺ يعلم ما الذي سيحدث إذا انفتحت عليهم الدنيا، فعن عمرو بن عوف رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : **(فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ)**،[أخرجه البخاري: صحيح]. يعيش الناس بالبذخ والترف والبطر والمنافسة والتكاثر إلى أن يصلون إلى أين؟ **فتهلكنا الدنيا كما أهلكت من سبقنا.**

ولذلك فتنة المال هي نوع من الإغراء، الآن صرنا إذا سألنا طفلًا ماذا تتمنى أن تصبح إذا كبرت؟ صرنا نسمع الجواب: أكون مشهورًا؟ طيب لماذا؟ لأجل أن يكون عندي أموال كثيرة، يقول هكذا وهو ما يزال طفل وما احتاج للمال أصلًا، ولكن هذا كله من انفتاح الدنيا صار هم كل واحد أنه يصبح غنيًا وقد تكون أسهل طريقة للغنى هي الشهرة!

وقريبًا سمعت عن شاب ذكي ولمّاح والأول على دفعته وسيرته الذاتية غنيّة، درس في أمريكا وأخذ شهادة فخرية الGPA وكانت الشركات تتنافس عليه، وبالآخر توظف في بنك ربوي معروف! قد يكون هو أفضل عرض وظيفي جاءه، فكان المال هو العامل المغري، وما تنازل لراتب أقل منه في مكان آخر ويضمن طهارة مصدر كسبه، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال، قال لي رسول الله ﷺ: **(إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ)**، [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح].

أي لحمة عضلة في جسمك تنبت من حرام فالنار أولى بها، وهذا المال لا تأكل منه أنت لوحدك، بل تطعم منه زوجتك وعيالك! فما ذنبهم أن يأكلوا من مال حرام!

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ: **(إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا)**. [أخرجه البخاري: صحيح].

(إني بين أيديكم فرط) يعني هو سيسبقنا في الآخرة (وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض) يخاطب أمة محمد ﷺ (وإني لأنظر إليه من مقامي هذا) يتكلم مع الصحابة يعني كأني أرى الحوض من مقامي هذا (إني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها) يعني أنا لا أخشى على أمة محمد ﷺ أنهم يشركون ويعبدون الأصنام لكن أنا أخشى عليهم أن تنفتح عليهم الدنيا فيتنافسونها فتهلكهم، فلا يقدرون أن يقاوموا إغراء المال.

عن ابن كعب بن مالك رضي الله عنه عن أبيه عن النبي ﷺ قال: **(مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ)**، [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح].

تتخيلون منظر ذئب جائع إذا دخل زريبة غنم ما الذي يمكن أن يفعل فيها؟ ينهش ينهش فيها خصوصًا إذا كان جائعًا، فيأخذ في رقبة هذه ويد هذه وينهش هذه يعمل مذبحة في المكان الذي هو فيه، **ذئب واحد فكيف بذئبان وأرسلا في غنم!** فيقول النبي ﷺ هذه المذبحة التي فعلها الذئبان في زريبة الغنم ليست بأفسد مما يفعله الحرص على المال والجاه على دين الإنسان، **فحرص الإنسان على المال والجاه يؤدي لمذبحة على دين الإنسان.**

عن حكيم ابن حزام رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ: **(إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى)**، [أخرجه البخاري: صحيح].

(بسخاوة نفس) يعني ليس متطلعًا له، أتاه رزق ترقية في وظيفته أو زيادة في ماله أو مكافأة، لكنه لم يسع له ،

(فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس) إشراف نفس يعني هلع يعني طوال الوقت هو يتحراه، (لم يُبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع) ونحن بالطبع لا نتحدث عن المحتاج للمال، **ولكن حديثنا عن المتصفين بالهلع الذين يسعون دائمًا للزيادة.**

الصحابي عبد الله بن حذافة السهمي لما صار أسيرًا عند الروم في أول المعارك التي بين الصحابة رضوان الله عليهم وبين الروم فلما أُخِذَ أسيرًا قالوا لملك الروم: هذا من أصحاب محمد ﷺ يعني رآه وعاش معه، قال: أدخلوه علي، فقال له: **هل لك أن تتنصّر وأعطيك نصف ملكي!** بدأ بإغرائه بالمال، وأنت تخيلي أحدًا يقول لك لو أعطيك نصف أمريكا كلها! هذا بالضبط الذي حصل للصحابي عبدالله بن حذافة، والذي يكلمه هو الملك وهو صاحب القرار، فماذا كان رد عبدالله بن حذافة؟ قال بدون أن يتأتئ حتى بالكلمة قال: **لو أعطيتني جميع ما تملك وما يملك العرب ليس ملكك أنت فقط على أن أرجع عن دين محمد ما رجعت!** هذا جوابه وهو أسير، فسبحان الله ما أثرت فيه كل الإغراءات.

قصة أخرى:

لما دخل إبراهيم باشا ابن محمد علي -الذي حكم مصر- المسجد الأموي وكان فيه شيخ يقرأ على طلابه وكان الشيخ كبير في السن ومادّ رجليه، فلمّا رآه إبراهيم باشا -وكان ظالم جبّار في ذلك الوقت- اغتاظ لأن ذلك الشيخ الكبير ما احترمه وعدّل جلوسه، فأراد أن يذلّه، فماذا فعل؟ ذهب وأرسل واحدًا من جنوده بألف ليرة ذهبية كأنها مليون في وقتنا الحالي، وقال له: اذهب له في وسط الحلقة ونادِ بصوت عالٍ وقل له : يا شيخ هذا إبراهيم باشا يقول لك تفضل الألف ليرة هدية خذها لحاجتك، فجاء الجندي إلى هذا الشيخ وقال له: السلام عليكم ومعه الصرة ، قال هذه من مولانا إبراهيم باشا على أن تستعين بها على أمرك، فقال له الشيخ وقد نظر له بإشفاق: قل لسيدك إن الذي يمد رجليه لا يمد يديه!

الإغراء الثالث والأخير هو:

3. **<u>إغراء الجاه</u>**

هرقل ملك الروم لما جاءته رسالة النبي ﷺ وفيها **(من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم أسلم تسلم ...)** وقع الإسلام في هرقل وهذا الحديث في البخاري، فعرف النبي ﷺ بصفته والقصة المعروفة سأل أبو سفيان عن النبي ﷺ وعن صفاته وبماذا يأمركم؟ كيف شكله؟ هل يكذب هل يصدق؟ كيف أشكال الذين معه؟ وهرقل ما كان ملكًا عاديًا بل كان عنده علم النصرانية في ذاك الوقت، فلما وقع الإسلام فيه رأى أن يختبر وزراءه، فسألهم **<u>ماذا لو أسلمنا واتبعنا محمدًا؟</u>** فلمّا رأى أنهم قد حاصورا كما في الرواية يعني أرادوا الهرب، قال إنما كنت أختبركم وأختبر ثباتكم على دينكم، فرجع عن كلامه لأنه **ما استطاع أن يترك الجاه الذي هو فيه!**

هذا في كفّة، وفي كفة أخرى موقف كعب بن مالك لما جاءه كتاب من ملك غسان في الوقت الذي كان مهجورًا فيه من النبي ﷺ والأصحاب في قصة توبة كعب بن مالك، فأرسل لم ملك غسّان أن قد بلغنا <u>أن صاحبك قد جفاك ولست أنت صاحب جفا (يعني لست أنت الذي تُجفى)</u> فإذا بلغك كتابي هذا فالحقْ بنا نواسيك. يقول له تعال عندنا في مملكة غسان ونحن نكرمك، وملك غسان هذا كان نصرانيًا، **فماذا فعل كعب بن مالك؟ وقد عرض عليه الملك هذا العرض العظيم؟** أخذ كعب بن مالك هذه الرسالة ووضعها بالتنور **أي رماها في النار، وقال هذا أيضًا من البلاء.**

بين هذين الموقفين قارنوا الفرق بين ملك الروم الذي لم يستطع مقاومة هذا الجاه، وبين إنسان عادي يهجر لمدة خمسين يومًا لمجرد أنه قال الصدق.

طيب هذا الحديث كله حتى <u>نعرف كيف يمكن للإنسان أن يقاوم، والمقاومة تتضمن أشياء كثيرة، منها أن تقاوم إغراء الفتاوى المرخصة، والبحث عن المشايخ الذين يفتون حسب هواك وإرادة نفسك،</u>

والأصل هو مقاومة شهوات هذه النفس والبحث عن المشايخ الذين يتكلمون بحديث النبي ﷺ ويستدلون بالدليل من القرآن والسنة **فالدين يؤخذ ممن يصح منهجه لا ممن يفتي حسب ما يطلبه المستفتون.**

وهناك سمتان اثنتان لهذه الإغراءات التي نعيشها:

السمة الأولى: أنها كثيرة.

والسمة الثانية: أنها سهلة.

وهاتان السمتان هما اللتان صعّبتا المقاومة ، فالإنسان ما عاد يحتاج أن يذهب ويبحث عن الحرام، بل الحرام أصبح يتسلل إليك بكل سهولة.

طيب أختم الدرس بالإجابة عن سؤال: كيف نقاوم؟

لابد أننا نتكلم عن خطوات عملية، فبعد أن قلنا كل ما سبق، كيف سنقاوم هذا الإغراء الكثير والسهل والمتتابع؟ ونحن نعلم أنه لا يمكن للإنسان أن يسدّ أبواب وصول هذه الإغراءات إليه، فإن أغلق باب بيته ستصل له من جواله، وإن أغلق الجوال ستصل له من أخبار الناس وهكذا، ولكن يمكن للإنسان بخطوات عملية أن يقاوم الإغراءات..

كيف نقاوم؟

1. **لا تشغلك الدنيا عن الآخرة.**

ضعيها قاعدة عندك، قال الله عز وجل: **(بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى)** من المهم ألّا تشغلك الدنيا عن الآخرة، فلا تكن شهوات الدنيا هي الشيء الأول الأهم عندك، بل كل ما تذكرتِ شيئًا من الدنيا تذكري معه الآخرة، واسألي نفسك أنا لو فعلته ماذا سيكون لي في الآخرة؟ وهذا تمام العقل 1+1=2 تفعلين شيئًا بالدنيا ستريْنه في الآخرة وفي قبرك.

هنالك الكثير ممن يقول سأتوب قبل الموت، طيب هل لديك ترخيص متى ستموت لتكون مستعد قبله؟ إذا متى ستتوب؟

وهل مر عليكم مقطع الأندونيسية التي ختمت القرآن، ثم بدأت تدعو دعاء الختمة، فماتت من لحظتها وهي ممسكة للاقط؟ كان الناس يرونها بعافية أمامهم، هل تعتقدون أنها كانت وهي تقرأ تعرف أنها ستموت بعد ثوانٍ؟ لا! وكثيرًا جدًا ما رأينا مقاطع مشابهة لأناس ماتوا على مسارح غنائية وآخرين وهم يرقصون وآخرين وهم سكارى، **ومن عاش على شيء مات عليه!**

2. **قولي لا للترف الزائد.**

لابد أن نربي أنفسنا ونربي أبناءنا على عدم الترف الزائد، وألا يكون الترف الزائد مطلب وغاية نتشوّف إليها، **هناك فرق بين أن نستمتع بما أحلّه الله لنا، وبين أن نشعر أن الكثرة من المباحات لا يزيد قلبك إلا قسوة**، أحيانًا ينطبق هذا الكلام على كثرة الجمعات، فالاجتماع مع الناس مباح، ولكن إذا استوعبت أن هذه الاجتماعات ما تحصلين منها شيئًا مفيدًا بل ربما تزيد طمعك وتشوّفك للدنيا، ستجدين أن قلبك مع الأيام ما عاد هو هو، وصار يحتاج لترميم، **وأنت طبيبة نفسك تعرفين ما الذي يقسّي قلبك** وما النوع من الترف الذي تحتاجين أنك توقفين عند حده.

3. **لا بد يكون في المجتمع هذه القدوات وأن نكون نحن منهم.**

لابد في كل محطة وفي كل مجتمع يكون هناك قدوات، وكل واحدة منَّا تنظر إلى نفسها فأنتِ في مكانك وأنتِ في شغلك وأنتِ في أسرتك لابد أن تكوني قدوة لمن معك، لابد أن الناس ما يموت فيهم الخير، **وأن يتواجد حولنا من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر**، وأن نظل نسمع من ينصحنا ويوجهنا ويذكرنا بأن هذا غلط وهذا حرام وهذا يغضب الله عز وجل على عرشه في عليائه، والله يغار على حرماته أن تنتهك.

شيء مهم أن تكون هذه الفكرة في بالك أن الإنسان يتحول إلى قدوة، **والقدوة لا يخلو من الأخطاء، وليس أحد معصومًا بعد الأنبياء، ولكن هل يعني أن نترك بعضنا البعض؟ لا.** فكل واحد يتحول إلى محطة خير ومنصة خير في المكان الذي هو فيه، ولا تقبلي أن تكوني صفر أو سالب في المكان الذي أنت فيه.

4. **أن تعرف حقيقة الدنيا.**

تسمعين كثيرًا فلانة سافرت بطائرة خاصة، وفلانة سافرت بكروز، فلانة عمرت عمارة، وفلانة اشترت.. فلانة تعيش كذا، وهكذا، وأما أنتِ إذا تكلم الناس بأمور الدنيا تذكري النبي ﷺ لما دخل مع أصحابه في السوق في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ : **(مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ)**، [أخرجه مسلم: صحيح]، يعني الدنيا أهون عند الله وهذا الشيء الذي نتنافس فيه وهذه الدنيا برمّتها هي هينة عند الله، أهون من هذه الجيفة الميتة. والحياة كلها اُختصرت بـ آيتين: **قال تعالى:" أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ"** (التكاثر:١/٢) حتى نصل إلى مطارات الراحلين، دنيا طويلة تأملوا كيف الله تعالى يختصرها في ٤ كلمات، في آيتين.

5. **قاوم النظرة المحرّمة.**

قاومي بكل ما استطعت من قوة بيديْك ورجليْك، ولا تسمحي لعينك أن تسرح في الحرام، لا تقولي أنا تعودت أشاهد المسلسلات والأفلام وما فيها من لقطات من عري وغيره، وكأنها أصبحت شيئًا عاديًا، بل الشيطان في كل مرة ينمّيه أكثر!

لا تجعلي النظر إلى فخذ أو بطن او ظهر أو أي شيء من العورات أمرًا اعتياديًا، **لأن العين إذا اعتادت فالقلب كذلك يعتاد ويقسى**، ويجب أن تدركي أن كل نظرة من هذه النظرات هي عبارة عن أشياء تجرح في داخل القلب كأنها سكاكين تجرح في داخل القلب **إلى أن ينزف هذا القلب كل إيمانه الموجود فيه. فقاوم نظرة الحرام ولا تسمح لها لأنها دائماً هي البدايات.**

6. **قاوم تلك الأمور التي يكون فيها الزيت جانب النار.**

أي أماكن قد يكون فيها اختلاط بين الجنسين قاومي هذا المكان. وابتعدي عنه قدر استطاعتك،

وابن القيم-رحمه الله- قال: **لا ريب أن اختلاط الرجال بالنساء هو أصل في أسباب نزول العقوبات العامة.**

وتأملي حال الأماكن اليوم، أين ما ذهبت كان الاختلاط موجودًا في المستشفى في المقاهي يجلس الواحد يتحدث والطاولة المجاورة تسمع هذا الحديث، فهذا الاختلاط الذي أصبح موجود في كل مكان هو أصل العقوبات العامة ونزول العقوبات العامة. ولذلك قاوم وجاهد أن تحمي أنت نفسك من التواجد في هذه الأماكن قدر المستطاع، ثم تربي أطفالك على هذا حتى لا يتعودوا منذ نشأتهم أن هذا شيء عادي، لماذا؟ لأن **"كثرة المِساس تذهب الإحساس"** والإحساس الذي يذهب هو إحساس الإيمان بأن هذا حرام وغلط لا يرضاه الله، ولذلك قال النبي ﷺ في حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: **(إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ)**،

[أخرجه البخاري: صحيح].

وقد ابتلينا الآن بفكرة هي دخيلة على المجتمع ولابد، فكرة دخول العريس على قاعة الناس وهنّ في كامل زينتهنّ، يرقصن ويتمايلين وهنّ لا يحلون له!

يوسف-عليه السلام- لما قالت له امرأة العزيز ادخل عليهن قال: **"ربي السجن أحبّ إلي"!**

والآن نرى من المواقف التي انتكست فيها المفاهيم ما يصدع لها القلب!

7. رفقة صالحة تكون معهم.

الصاحب ساحب انتبهي لرفقتك التي تمشين وتتحدثين معهم، لأنك من خلال الحديث معهم وطول الصحبة ستصبحين وبدون شعور تنظرين للحياة من خلالهم، قد يخوفونك من شيء، ويحببونك في شيء، أو يغيرون نظرتك عن شيء، بمجرد أحاديثهم العادية **لكن مع الوقت تتشكل قناعاتك منهم**، هذا الصاحب ساحب فاهتمي لهذه الرفقة التي معك.

8. عَظِّم الله عز وجل وقدّره حق قدّره.

وأكتفي ببيت شعر في هذه النقطة **" إذا خلوت بريبة في ظلمة.. فلا تقل خلوت والنفس داعية إلى العصيان".**

يعني إذا اختليتِ في مكان ولا أحد يراك ونفسك تهوى الآن فعل ذنب معين: **"فاستحي من نظر الإلهِ وقل لها.. إن الذي خلق الظلام يراني"** فالله عز وجل الذي خلق الظلام يراني فأنتِ الآن لست جالسة لوحدك، قدّري الله حق قدره في أي مكان أنتِ فيه، كنتِ في غرفتك، أو كنتِ في استراحة، أو كنتِ مع صديقاتك أو في بيت صديقتك وأهلها مسافرين أو في أي مكان كنت، قدّري الله عز وجل حق قدره، ولا تسمحي لنفسك أن تنجرف مع داعي هواها.

9. **تعلّم واملأ وقتك بعبادة الخلوات.**

تعلّم يعني علم نافع، ولابدّ من العلم، **لأن الإنسان عدو ما يجهل**، وطالما كنت فاقدة لخارطة الطريق إلى الله ولا تعرفين كيف الوصول إليه، سيكون الضياع أولى بك، وانجرافك نحو الأهواء أسهل، فلا بد من فهم القرآن ولابد من سماع حديث وسيرة النبي ﷺ لتدلّنا على التصرفات الصحيحة في مواقف الحياة، ماذا لو حصل كذا ماذا سأفعل؟ وخذي من أنوار النبوة حل المشكلات، ستجدينها مرجع ومستند لأمور الحياة، في التعامل مع النفس والزوج وفي التربية وغيرها..

و املئي وقتك بعبادة الخلوات، عبادة الخلوات **هي أصل التثبيت**، فإذا كنت تريدين الثبات في هذا الزمان لابد أن تكون لك عبادة حتى أقرب الناس إليك لا يعرفون عنها، إما صدقة إما صيام إما صلاة إما دعوة، إما كفالة أيتام، أو إعالة أسر، أو ترميم بيوت، أيًا كان، **شيء بينك وبين الله، هو أصل التثبيت فاستكثري منه في هذا الزمان.**

واملئي وقتك، أمامك الـ ٢٤ ساعة في يومك، ليكن فيها من العلم الذي يقربك إلى الله نصيب.

وقد كان من دعوات النبي ﷺ أنه يقول: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي)**، [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح].

10. **ابتعد عن أماكن الإغراءات.**

تعرفون جميعكم **قصة الرجل الذي قتل مئة**، وقال له العالم الأخير من يحول دونك ودون التوبة؟ اذهب إلى قوم فلان فإنهم أرض صالحة فاذهب فاعبد الله عز وجل معهم.

وقال له هذه النصيحة الذهبية: ولا ترجع إلى قومك فإنهم قوم سوء.

فالأرض التي قتلت فيها مئة من الناس ولا أحد منهم أوقفك عن هذا الباطل، هم بجعلونك تستغرق في ذنبك، وأنت انظر في واقعك، أصحابك من عشر أو عشرين سنة ولا أحد منهم ينصحك ويقول لك هذا حرام وهذا غلط، هذا يعني أن الغلط فيهم، فالبعد عن الأماكن والصحبة التي تجعلك تزداد في المعاصي أمر مهم، خصوصًا إذا عرفت من نفسك أنه لا قدرة لديك على المقاومة، ولذلك قال تعالى للنبي ﷺ قال تعالى:" **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ** ". (طه:١٣١).

11. **لا تنظر إلى المترفين، لا تتابع المترفين.**

لا تنظر لهم، لأنك حتى لو كنتِ أنتِ أغنى الناس ستظلين في تطلّع دائم لما عندهم، ستكون الهموم عبارة عن: فلانة اشترت سيارة وأنا ما اشتريت، فلانة اشترت تلك الشنطة، فلانة رجعت من السفر وهي للتو راجعة من سفرة قبلها من أسبوعين!

هذه هي اهتمامات المترفين! طيب أين الهم الأكبر أين الرسالة الكبرى أين الشيء الحقيقي الذي نعيش نحن لأجله، أين التغيير الذي ستفعلينه في هذا العالم؟ من الذي حولنا إلى آلات مستهلكة نبحث فقط عن الشهوة والمتعة؟ ونفكر فقط في انبساط أنفسنا وما يروّح عنها! طيب والمواهب التي أكرمنا الله بها وبإمكاننا خدمة البشرية فيها؟ نحن أكبر من هذه التفاهات بكثير ولكن أنت لو قدرتِ نفسك وما ضيّعتيها بمتابعة التافهين ستكون حياتك حتمًا مختلفة. فلذلك يقول النبي ﷺ: **(اغتنم خمسًا قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك).** [أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وقال الألباني: صحيح].

الحياة لن تدوم لأحد. والله عز وجل يقول: **"أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)"**

(الشعراء:٢٠٥/٢٠٦/٢٠٧).

خذي من الدنيا ما تريدين، سيأتي ذلك اليوم وتنتهي الحياة، وحينها ما تغني عنك قراراتك التي أجلتِها؟ رغبتك في التوبة المؤجلة؟ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون. القرآن يا أخواتي عبرة لمن يعتبر، لذلك هو لوحده موعظة للقلب لو الإنسان قرأ القرآن بقلب منفتح.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يعمل في رضاه واسأل الله أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه، هذا والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

* تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات المكتوبة في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد ؛ إنما تمّت إعادة صياغتها لتناسب القرّاء وبما لا يخل بروح المحاضرة ومعانيها.